



منذ الثورة الإيرانية عام 1979، وصعود الدور القيادي للدين في الجمهورية التي أضافت لنفسها وصف "الإسلامية"، لم تكن مسألة التطور السياسي للمذاهب العرقية في طهران تأخذ هذا القدر من الاختلاف داخلياً، ليعكس مبدأ "تصدير الثورة" خطورة في علاقات إيران خارجياً أيضاً.

فبرى البعض أن قيام الحرب العراقية الإيرانية كانت من نتائج تلك السياسة، وكذلك الحرب الأهلية الأفغانية، لكن التطور الأخر يبرز حالياً في توسيع التدخل الإيراني بعده من دول المنطقة، أهمها سوريا واليمن والعراق ولبنان، وهو ما يعكس مخاطر في الداخل الإيراني المنقسم.

وعليه؛ فإن طموحات إيران لكي تكون قوة إقليمية فاعلة عبر توسيع نفوذها، يؤثر في بنية نظامها وفي سياساتها الداخلية والخارجية.

قبيلة موقوتة:

ويفتح إطلاق مجاهلين، الجمعة، النار على مشاركين في مراسم عزاء في بلدة صفي آباد التابعة لمدينة ذي قار بمحافظة خوزستان جنوب غرب إيران، مسبباً مقتل اثنين وجراح اثنين آخرين، الباب للتساؤل حول مخاوف من انفجار قبولة موقوتة في إيران عنوانها الاختلاف المذهبي الذي ينعكس على سياسة إيران الداخلية والخارجية.

فمدينة ذي قار الإيرانية التي وقع بها الحادث، تقع في محافظة خوزستان (غرب) على الحدود العراقية، وتضم أقلية كبيرة من العرب السنة.

وجرى الحادث في إحدى الحسينيات التي استخدمت على مر التاريخ لعرض حادثة مقتل الحسين بن علي على الناس، من خلال الخطيب الذي غالباً ما يجلس على المنبر متوسطاً الناس، ليبكي الناس على المقتل، ثم تبدأ شعائر أخرى كاللطم أو التطهير.

الجمهورية الشيعية:

في عام 1979 حدث ثورة قلبت النظام العلماني في الإمبراطورية الفارسية إلى "جمهورية دينية شيعية" قائمة على أساس ولادة الفقيه، ونص الدستور الجديد في المادة الثانية عشرة أن "الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثنا عشرى، وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير".

وأما المذاهب الإسلامية الأخرى، التي تضم المذهب الحنفي والشافعى المالكى والحنفى والزیدي، فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحراز في أداء مراسيمهم المذهبية حسب فقههم، وفق ما تقول طهران، فيما يكذب الواقع القول، حيث يتم التضييق على أتباع المذهب السنى، حتى إن العاصمة طهران فيها مئات المعابد لليهود والبوذيين، في حين أنه لا يوجد مسجد واحد للسنة، حسب ما يقول نشطاء على وسائل التواصل الاجتماعى.

وفي هذا السياق أدانت منظمة "هومون رايتس ووتش" في تقريرها العالمي للعام 2005 ما يتعرض له السنة من اضطهاد في إيران، وجاء في الشق المتعلق بالأقليات ما نصه: "ما برح أبناء الأقليات العرقية والدينية في إيران عرضة للتمييز، بل وللاضطهاد"، وأشار التقرير إلى "معاناة طائفة البلوش، وهم أقلية أغلب أفرادها من السنة ويعيشون في إقليمي سیستان وبلوشستان الواقعين على حدود البلاد، من عدم تمثيلهم في الحكومة المحلية".

وتقدم طهران المئات من الفقهاء والمحاذين والمفسرين والعلماء الشيعة على السنة منذ سنوات، وهو ما وضع السنة في بؤرة اصطدام ومركز صراع، ومع أن نسبتهم ليست بالقليلة فإنهم يعانون من القمع الدينى والسياسي والإبعاد عن توليهم مراكز حكومية.

وتتضارب المعلومات بشأن الحجم الحقيقي للسنة في إيران، فالإحصاءات الرسمية للدولة تقول إنهم يشكلون 10% من السكان، إلا أن مصادر السنة تؤكد أنهم يشكلون ثلث حجم السكان البالغ عددهم أكثر من 70 مليون نسمة، ومصادر مستقلة تقول إن السنة يشكلون من 15 إلى 20% من سكان إيران، مقسّمين إلى 3 عرقيات رئيسة هي الأكراد والبلوش والتركمان، إلى جانب العرب في إقليم خوزستان، أما المسلمين السنة من العرق الفارسي فوجودهم نادر.

خارجياً، يقول الباحث الإيرانى صادق زيبا: إن "الصحوة الشيعية لم تُفلح كعقيدة سياسية في استقطاب الشيعة الآخرين في المنطقة خارج إيران؛ لأن الشيعة خارج إيران لا يستحقون الدعم الإيراني إلا إذا كانوا معادين للولايات المتحدة، وإلا فإن النظام الإسلامي في طهران سيتجاهلهم".

ويشكّل الشيعة في العالم باختلاف فرقهم ما بين 7.6% و13% كحد أقصى من مجموع المسلمين أجمعين، ويتمركز أكثر من ثلث هؤلاء في إيران وحدها.

وعليه، فإن إيران تشكّل مركز الجاذبية لهؤلاء، ليس على المستوى المذهبي فقط وإنما على المستوى السياسي أيضاً، على اعتبار أن السياسة والدين متمثلان في الولي الفقيه المرشد الأعلى.

ويرى الباحث الإيرانى كيهان بركار أن استخدام التشيع في السياسة الخارجية قديم، لكنه أصبح أكثر فاعلية بعد أزمة العراق عام 2003 حيث دخل التشيع في إنتاج السلطة والسياسة في الشرق الأوسط؛ وهو ما أدى إلى تقوية دور ونفوذ إيران، فعنصر التشيع أدى إلى تحويل العراق إلى دولة صديقة ومتخالفة مع إيران، وأعطى الحضور الفعال والمصيري في قضايا العراق ولبنان، والشرق الأدنى بشكل عام على حد قوله.

وأظهر استطلاع أجراه معهد تيسيف في العالم العربي، ونشرت نتائجه في نوفمبر/تشرين الثاني 2012، أن إيران تأتي على قمة هرم الدول التي يعتقد أنها تتبع سياسة طائفية إلى جانب كل من العراق وسوريا، وهو ما يعني فشلاً إيرانياً في استخدام

هذا العنصر لمصلحتها.

الخليج أونلاين

المصادر: